فاروق الأول وعرش مصر
بزوغ واعد وأفول حزين
١٩٢٠-١٩٦٥

سالم، لطيفه محمد.
فاروق الأول وعرش مصر: بزوغ واعد وأفول حزين، ١٩٢٠- ١٩٦٥/ لطيفة محمد سالم - القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٥.
٢٥٩ صفحة؛ ٢٤ سم.

عرض

م. أحمد مصطفى البحيرى

المؤلفة الأستاذة الدكتورة/ لطيفه محمد سالم هى أستاذة للتاريخ الحديث والمعاصر ومن أكثر المؤرخين إلماماً بتاريخ الملك المخلوع بحكم ما لها من إعمال موسوعية عن عصره ، ومن مؤلفاتها الهامة والحديثة عن هذا العصر كتابها "فاروق وسقوط الملكية فى مصر، من البلاد إلى الرحيل (١٩٢٠-١٩٦٥)"

ترى المؤلفة فى مقدمتها للكتاب أن عهد الملك فاروق قد اتسم بسمات خاصة تفرد بها، فالبداية جاءت فى عام ١٩٣٦ وهو عام شهد توقيع المعاهدة المشهورة بين مصر وبريطانيا، وجاء التوقيع بعد حوالى أربعة اشهر من جلوس الملك على العرش، والنهاية حلت فى عام ١٩٥٢ حينما قامت ثورة ٢٣ يوليه لتشكل حدثاً هاماً، ليس داخل مصر فقط وإنما أيضاً خارجها . ثم تشير بعد ذلك إلى الجدل الذى ثار حول شخصية فاروق حيث كثرت الكتابات عن سلبياتها عقب ثورة ١٩٥٢ ، ثم صدرت كتابات أخرى، فى فترة لاحقة، أبرزت بعض إيجابيات هذه الشخصية من منطلق التعاطف معها ، وترى المؤلفة أنه فى كلتا الحالتين كان المنهج التاريخى مغيباً . وترى أنه قد أصبح من اللازم إعادة الدراسة لتقييم تلك الشخصية فى إطار الظروف التى عاشت فيها وأحاطت بها؛ وذلك بالاعتماد على الحياد والموضوعية واستخدام المصادر الأصلية التى غالباً ما تعطى صورة بدون إضافات سواء للتجميل أو التشويه .

أما مصادر المعلومات لهذه الدراسة فقد حددتها المؤلفة بأنها – فى المقام الأول – الوثائق البريطانية غير المنشورة التى تتعلق بأحداث مصر ، باعتبار أن بريطانيا كانت صانعة القرار فى تلك الفترة ولم تغب عنها صغيرة ولا كبيرة . كما استمدت الدراسة المعلومات من الدوريات باتجاهاتها المتعددة وقد دخل عن طريقها

أكثر من مصدر، مثـــل الذكريات التى سجلها ذوى الشأن فيهـا، والـشهادات الـتى أدلى بها أصاحبها، وما نقلته هذه الدوريات عن الـصحف الأجنبية . وبالإضافة إلى كل ما سبق فقد استعانت الدراسة ببعض المراجع .

بعد أن تم خلع الملك السابق فاروق عن عرشه فى عام ١٩٥٢ وُصم الرجل وعهده بكل نقيصة من خلال الأدوات التى كان النظام الجديد يسيطر عليها من صحف وإذاعة وما إلى ذلك من وسائل للأعلام.

وبعد ذلك بسنوات بدأت بعض الكتابات المتعاطفة مع الملك السابق فى الظهور، ولكن هـذه الكتابات المتعاطفة، مثلها فى ذلك مثـل عمليات الإدانة الأسبق عليها، لم تقدم كافة جوانب الصورة ولم تتحر الموضوعية، وكانت هناك ضرورة، كما قال الدكتور يونان لبيب رزق فى تقديمه للكتـاب، لأن يُبحث الأمر بمنهج علمى دقيق يقدم صـورة قرب إلى الموضوعية للملك المخلوع وعهده.

وبعد عنت فى الدراسة ومكابدة سيعلم كل من يقرأ هذا الكتاب حجمها. خرجت المؤلفة بنتيجـة مؤداها أنه كان هناك فاروقان وليس فاروقاً واحداً .. فالأول حكم مصر خلال الفتـرة بـين عـامى ١٩٣٧ و ١٩٤٤ ، وكان واعدا، و ربمـا كـان أكثر حكام أسرة محمد على قبولاً؛ بل وشعبية عند المصريـين، غير أن الأمـر قـد تحـول إلى النقيض خلال الفـترة الثانية من عهـده الـتى بـدأت بـعد الإقالة الملكية الثانية للحكومة الوفدية، حيث أسكرته نشوة النصر على الوفـد، وقد تحلق حوله رجال فاسـدون وضعفاء شجعوا الجوانب السلبية فى شخصيته؛ وهى كثيرة، وأطلقوا لها العنان، ففقد شعبيته وكرهه المصريون، ولم يحزنوا بل فرحوا عندما عُزل عن عرشه فى عام ١٩٥٢ ، وكان هذا هو فاروق الآخر.

يتكون الكتاب بعد مقدمته من تمهيد قصير عن تاريخ عائلة محمد على باشا وكيف انتهى الحكم إلى السلطان فؤاد أو الملك فؤاد بعد ذلك ، ثم زواجه من الملكة نازلى وإنجابه لفاروق . ينقسم الكتاب بعد ذلك إلى أربعة أجزاء رئيسية يعقبها ختام قـصير. ويقدم كل جزء من أجزاء الكتاب مرحلـة مـن مراحل حياة فاروق .

الجزء الأول يتتبعه فى مراحل تكوين شخصيته فى الصبا والشباب المبكر، والثانى يتتبعه فى مراحـل توهجه التى امتدت من ٢٩ يوليـه ١٩٣٧ وهـو تاريخ توليه سلطاته الدستورية كملك، وحتى أكتوبر ١٩٤٤ يوم إقالته للوزارة الوفدية لثـانى مـره فى عهده، والجزء الثالث يعرض لمرحلة تحول فـاروق وانتهاجه لسياسات أدت به إلى الهاويـة فى عـام ١٩٥٢ ، أما الجزء الرابع فيتناول حياته فى المنفى بعد تنازله عن العرش، ثم موته الغامض هناك.

فى **الجزء الأول** الذى يقع فى ٢٤ صـفحة تتبعت المؤلفة مراحل تكوين شخصية فاروق مـن الطفولة إلى الصبا والشباب المبكر . كانت العزلة هى العلامة الواضحة فى سياسة تربية ولى العهـد، وهى عزلة فُرضت عليه من جانب والـده المسن الملك فؤاد، ذى الشخصية المستبدة والمتسلطة، وذى الميول التركية الإيطالية . أما البريطانيون فقد رغبوا فى أن يشب الملك الجديـد وفقـاً للطـابع

الإنجليزي حتى إنهم فرضوا أن يُعين له مربيتان واحدة إنجليزية والأخرى ايرلندية، لم تكونا اقل صرامة من الأب . وعُزل ولى العهد عن أمه تماماً.

وعندما وصل فاروق إلى سن الصبا أعرب البريطانيون عن ضرورة سفره إلى بريطانيا ليتلقى العلم المناسب من وجهة نظرهم . ورغم معارضة الأب والأم فقد انتهى الأمر بسفر فاروق إلى لندن وهو دون السادسة عشر بشهور . وكان عليه أن يقضى حوالى العامين فى دراسة حرة حتى يبلغ السن التى تسمح له بالالتحاق بالدراسة المنتظمة فى أحد المدارس التى حددتها الحكومة البريطانية. تتابع المؤلفة الصراعات التى دارت حول اختيار مرافقى ولى العهد وكيف انتهى الأمر بأن اختار المندوب السامى البريطانى احمد حسنين خريج جامعة أكسفورد الذى عمل مع الإنجليز وخبروه وخبرهم، كرئيس للبعثة التى صاحبت فاروق. ولما كان الملك فؤاد حريصا على استقرار الأسلوب المتشدد فى تربية ولى عهده فقد اختار عزيز المصرى ليكون نائباً لأحمد حسنين ومرشداً عسكرياً وكبيراً للمعلمين . وتم استكمال تكوين البعثة بالتشاور بين الطرفين .

فى لندن بدأت "مرحلة الانطلاق" وتحت هذا العنوان استعرضت المؤلفة أهم ملامح حياة فاروق فى لندن ، والبرنامج التعليمى الذى وُضع ليعده للالتحاق بالأكاديمية التى تم اختيارها عندما يصل إلى السن المناسبة، والكيفية التى تم تقديمه بها للمجتمع الانجليزى، والأجواء الجديدة التى أحاطت به والتى اختلفت تماماً عن أجواء القصور الملكية فى مصر .

ثم تنتقل لتعرض الاختلاف البين بين شخصية رئيس البعثة وشخصية نائبه، فاحمد حسنين خطط فى المقام الأول لمستقبله هو مع الوريث المنتظر للعرش فتغاضى عن التصرفات الطائشة للأمير الصغير المراهق بل وشجعه أيضاً. وعلى الجانب الآخر تشدد عزيز المصرى مع فاروق وراح يحاصره ويفرض عليه أوامره العسكرية، أصبحت النتيجة محسومة وهى انجذاب فاروق لأحمد حسنين وأفكاره تماماً ونفوره من عزيز المصرى وأفكاره .

لم يقدر لهذه البعثة أن تستمر لمدة أطول فقد توفى الملك فؤاد فى ٢٨ إبريل ١٩٣٦ ونودى بفاروق ملكاً على مصر .

تحت عنوان " العودة" تناولت المؤلفة تفاصيل رحلة عودة فاروق إلى مصر والترحاب الذى لقيه عند وصوله من كبار المسئولين، والمظاهر التى أعرب المصريون من خلالها عن صدق مشاعرهم تجاه ملكهم الشاب، وكيف أثرت هذه المظاهر عليه وعمقت فى داخله إحساسا بأن هناك قوة تسانده، قوة لم تقف خلف أي حاكم من عائلة محمد على من قبل .

ولان فاروق لم يكن قد بلغ سن الرشد فقد عُين مجلس وصاية على العرش. ودارت بعض المناقشات حول سن الرشد السياسى، وانتهى الأمر إلى الاتفاق حول تحديد هذه السن بثمانية عشر سنة هلالية، وكان المندوب السامى البريطانى هو القوة الأساسية وراء هذا القرار، وأيدت الوزارة الوفدية التى شُكلت فى ٩ مايو ١٩٣٦ هذا الأمر.

بعد العودة تبدأ مرحلة جديدة تسميها المؤلفة مرحلة "الانفتاح" فى بدايتها يرفض فاروق وأمه فكرة عودته إلى بريطانيا لاستكمال دراسته حتى بلوغه سن الرشد السياسى. ويوافق المندوب السامى البريطانى على ذلك بعد بعض الممانعة . وكبديل طلب البريطانيون استدعاء مدرس خصوصى بريطانى يتولى مهمة استكمال تعليم الملك الشاب. ورغم وصول هذا المدرس إلى القاهرة فقد تم التغاضى عن وجوده تماماً ثم تم الاستغناء عنه. واُستكمل بناء الثقافة الملكية تحت إشراف ثلاث شخصيات هى الملكة نازلى واحمد حسنين وعلى ماهر، وهو أمر لم ينل استحسان البريطانيين. وتولى الملك فاروق سلطاته الدستورية فى ٢٩ يوليه ١٩٣٧ .

الجزء الثانى من الكتاب الذى أسمته المؤلفة "التوهج" يستغرق حوالى ٩٠ صفحة، وتمتد مرحلة التوهج، فى رأى المؤلفة، من تاريخ تولى الملك فاروق لسلطاته الدستورية وحتى يوم ٨ أكتوبر ١٩٤٤ تاريخ إقالته للوزارة الوفدية لثانى مرة.

تستعرض المؤلفة فى بداية هذا الجزء عوامل تفوق الملك فاروق على من سبقه، فهو شاب وسيم ومبتسم، جاء بعد ملك متجهم وبغيض ، ليتولى حكم مصر فى ظل دستور ١٩٢٣ الذى أعطاه هذا الحق وفصل حقوقه وواجباته. وبين جلوسه على العرش وبداية توليه لسلطاته الدستورية تحققت انتصارات وطنية هامة هى عقد معاهدة ١٩٣٦ ، التى حددت الوجود العسكرى البريطانى وألغت الامتيازات الأجنبية، وانضمام مصر إلى عصبة الأمم، وقيام انتخابات نزيهة فاز بها حزب الوفد باكتساح . خلق كل ذلك جواً من التفاؤل فى مصر فاستقبل شعبها الملك الجديد بترحاب شديد .

خطط رجال القصر للملك الجديد أن يستغل كل العوامل السابقة ليزداد توهجاً فنُظمت سبل الاتصال المباشر بينه وبين شعبه، وساهمت أساليب الدعاية فى إظهاره بمظهر الملك الصالح المحبوب الذى يهتم برفاهية شعبه.

تستعرض المؤلفة الواقع السياسى آنذاك، فبالإضافة إلى الملكية التى أصبحت على أعتاب فترة حيوية جديدة، فهناك حزب الوفد صاحب الأغلبية البرلمانية المعروف بمبادراته الليبرالية المعارضة للاتوقراطية الملكية، والذى يعتمد على وجوده المكثف فى الشارع المصرى. ثم هناك السفير البريطانى الذى لم يكن لديه اقتناع جدى بفاروق واطلق عليه اسم "الصبى" . بعد ذلك يأتى حزبا الأقلية وهما الأحرار الدستوريون والوطنى، ثم جماعتا الإخوان المسلمين ومصر الفتاة . ترى المؤلفة أن ازدياد شعبية الملك الجديد جاء على حساب الوفد وزعيمه الذى حاول أن يعمل على إجهاض الشعور الشعبى المتأجج تجاه الملك، وظهرت الكراهية الحتمية بين الملك والوفد، وهى كراهية موروثة من العهد السابق فى جزء منها، ومكتسبة فى جزء آخر. واشتعل الصراع بين الطرفين .

تؤكد المؤلفة أن النصر قد حالف القصر الملكى نتيجة لحسن إدارة الصراع وحسن استغلال عوامل التفوق ، وتستعرض الكثير من الأمثلة على ذلك. وكان لعلى ماهر، الذى اختاره الملك فى ٢٠ أكتوبر ١٩٣٧ رئيساً للديوان الملكى رغم عدم رضاء

الوزارة الوفدية، دور كبير فى تحقيق ذلك النصر حتى قبل أن يعين فى ذلك المنصب. وفى ٣ ديسمبر من نفس العام تمت أول إقالة ملكية للوزارة الوفدية فى عهد فاروق. وتقبل المصريون الأمر بهدوء ربما لأنه جاء فى جو من تصاعد حماس الأمة وتعبئة عواطفها عندما جرى الأعداد للاحتفال بالزفاف الملكى..

بعد الانتصار جاء التسلط، وتمكن فاروق من توجيه دفة الحكم عن طريق وزارات تخضع له وتنفذ رغباته، وتتابعت أربعة وزارات فى الفترة من ديسمبر ١٩٣٧ حتى فبراير ١٩٤٢، وتم حل البرلمان ذى الأغلبية الوفدية وزيفت انتخابات بناءً على الإرادة الملكية حتى يُستبعد الوفد. واستمر القصر فى سياسته الخاصة بتحقيق زيادة فرص الاتصال المباشر بين الملك وشعبه لتحقيق نوع من الشعبية الجارفة لفاروق مستغلاً فى ذلك طبائع المصريين وطيبتهم .

بعد إعلان الحرب العالمية الثانية ساور السفارة البريطانية فى مصر القلق بشأن موقف القصر خاصة والموقف فى مصر عامة. لقد وجدت بريطانيا أن تعاون وزارة حسين سرى معها غير كاف، وان الوفد يؤجج المشاعر الوطنية ضدها. وان انتصارات دول المحور تتابع والزحف مستمر على حدود مصر الغربية ، والملك يحبك الدسائس ضدها والأوضاع تتهاوى بصفة عامة . احتاج الأمر إلى رئيس وزراء قادر على الإمساك بزمام الأمور فى يده، ووجدت بريطانيا أن الرجل الوحيد القادر على ذلك هو النحاس باشا زعيم الوفد.

وفى ٤ فبراير ١٩٤٢ أحاطت الدبابات البريطانية بقصر عابدين ووضع الملك إمام خيارين إما قيام النحاس بتشكيل الوزارة أو التنازل عن العرش. وقبل الملك الخيار الأول.

زاد الرصيد الشعبى للملك بعد هذا الحادث الذى نظر إليه كأنه إهانة للمصريين جميعهم، وأصبح نقطة سوداء فى تاريخ الوفد الذى جاء إلى الحكم على أسنة رماح البريطانيين كما قيل. واستغل القصر ذلك الموقف فواصل حربه الشرسة ضد الوفد بنجاح. ولكن الوفد كان متمتعاً بمساندة السفير البريطانى الذى ركز جهوده على حماية حكومة الوفد من الإقالة . وقدمت تطورات الحرب على حدود مصر الغربية فرصة لشعور الملك بالتفاؤل فى صراعه مع البريطانيين، ولكن سقوط مرسى مطروح فى أيد الألمان سرعان ما أعقبه انتصار الحلفاء فى العلمين. واستمر الصراع وركز الملك على الاتصال المباشر بالشعب فى كافة المناسبات، كما ركز على استغلال الخلافات بين زعماء الوفد .

وعندما تغير مسار الحرب أصبحت على وشك الانتهاء بانتصار الحلفاء، رأت بريطانيا أن دور الوزارة الوفدية قد انتهى فكفت عن حمايتها . واعد القصر عدته لإقالة الوزارة، وتمت الإقالة الثانية فى أكتوبر ١٩٤٤ . وبالرغم من أن ما أقدم عليه الملك إجراء غير دستورى فإنه لم يلق اى معارضه، بل قوبل بالارتياح نظراً لعجز الوزارة الوفدية عن معالجة الأوضاع الاقتصادية المتردية ، ونظراً للفساد الذى تفشى فى إدارتها.

وفى الحقيقة فإن إعداد القصر عدته لإقالة الوزارة الوفدية لم يتوقف للحظة واحدة منذ تكليفها فى فبراير ١٩٤٢ أما العداء بين الملك والوفد فلم يغب عن الساحة للحظه واحدة كما سبق القول. تشرح المؤلفة كيف كثف القصر جهوده لاستغلال الظروف والأوضاع من اجل تجميع قوى المعارضة ضد الوفد وخلف الملك. احتل حزب الأحرار الدستوريين صدارة قائمة اهتمام القصر فى هذا المجال .كذلك تمكن القصر بمهارة من استثمار انشقاق بعض زعماء الوفد وتكوينهم لما عرف "بالهيئة السعدية"مع بداية عام ١٩٣٨، كما تمكن من استقطاب زعماء وفديين آخرين أهمهم مكرم عبيد ، حتى تهاوى هيكل الوفد وأصبح آيلاً للسقوط . وعمل القصر أيضا على تدعيم العلاقة بين الملك والحزب الوطنى، ولو أن هذا الحزب لم تكن له أهمية كبيرة فى ذلك الوقت. واستهدف القصر جماعتى الأخوان المسلمين ومصر الفتاة وأدخلهم فى دائرة الاستقطاب. وبصفة عامة فقد تمكن القصر من التوسع فى استقطاب أعداء الوفد وضمان ولائهم للملك الذى اصبح مناط آمال المصريين الوحيد و زعيمهم المفدى.

وكان الجيش هو أحد مؤسسات الدولة التى استهدفها القصر فحرص على أن يكون هناك نوع من الارتباط القوى بين الملك والجيش. وقد اثر حادث ٤ فبراير تأثيراً عميقاً فى المشاعر الوطنية للعسكريين شأنهم فى ذلك شأن باقى المصريين ، زد على ذلك ما أصابهم فى كرامتهم على أساس أن الجيش هو المؤسسة التى من المفروض أن تحمى الملك وتحافظ على عرشه. وانصب غضبهم على النحاس، بصفته مستفيداً من الحادث وبالتالي فهو مسئول عنه. واستغل فاروق هذه المشاعر بمهارة واستثمرها لصالحه، وأصبح تقليداً أن يقضى الملك سهرته فى يوم ٤ فبراير من كل عام مع مجموعة من الضباط يمثلون وحدات الجيش ورتبه. وغنى عن الذكر أن هذا التقارب قد اقلق البريطانيين.

ثم استثمر فاروق موقفه القوى وزعامته المؤكدة فى مشاغبة البريطانيين ، وكان الهدف الأساسي لذلك هى رغبة فاروق الشديدة فى إقالة حكومة الوفد التى فرضها عليه البريطانيون .

وتستعرض المؤلفة الكثير من أعمال المشاغبة التى قام بها فاروق، وردود أفعال البريطانيين إزائها.

وخلال فترة التوهج أيضا عمل القصر الملكى على إظهار فاروق على انه زعيم للعالم الإسلامي ككل وللعالم العربى على وجه الخصوص ، وكانت السيطرة على الأزهر هى مفتاح ذلك، وهو أمر كفله دستور ١٩٢٣ للملك إذ أعطاه حق تعيين قياداته وبالذات شيخه. وعين الشيخ المراغى شيخاً للجامع الأزهر ورسم هو وعلى ماهر استراتيجية تهدف، فى أقصى طموح لها، إلى اعتراف العالم الاسلامى بفاروق كخليفة للمسلمين. استخدمت كافة الوسائل لتحقيق هذا الطموح فقدمت المنح المالية لبناء المساجد وترميمها وامتد تقديم هذه المنح إلى مختلف بلاد العالم الإسلامي، وتم استغلال الصحف لتقديم صورة لفاروق كملك مسلم صالح وتقى ينادى به العالم الإسلامي كخليفة. ونظمت المناسبات التى تبوأ فيها فاروق مكانه الإمام والمرشد لكافة الزعامات الإسلامية، وشجعت المظاهرات التى نادت به خليفة

وأمير للمؤمنين. ولم يرق هذا الاتجاه للوفد الذى كان يرى ضرورة الفصل بين الدين والدولة، كما لم يرق للبريطانيين الذى أقلقهم ما يمكن أن تحدثه دعوة كهذه من تعصب وقلاقل فى كافة البلاد الإسلامية .

ولما أصبحت الحرب العالمية على الأبواب ادخل اتجاه فاروق الإسلامي القلق فى نفوس دول الحلفاء وخاصة بعد أن ظهر ميل القصر إلى دول المحور وتأييد إيطاليا لمشروع الخلافة، وبناء على ضغوط بريطانية تحول المسار بعض الشيء وتم تأجيل مشروع الخلافة الإسلامية مع تلاحق أحداث الحرب. ولكن فاروق رفض التنازل عن الدور الذى كان قد تقمصه فاستمر فى ممارسة بعض التصرفات التى تخلع عليه ثوباً إسلاميا انتظاراً لما تأتى به الأيام .

فى عام ١٩٤٣ أعلنت بريطانيا . على لسان وزير خارجيتها عن تبنيها لإقامة وحدة عربية وتلقف فاروق الأمر وسعى فى سبيل تأمين دور له فى هذا المشروع، ولكن النحاس وقف له بالمرصاد ونجح فى تحويل الأمر إلى مباحثات بين حكومات. وفى ٧ أكتوبر ١٩٤٤ وقع النحاس البروتوكول الخاص بجامعة الدول العربية فى الإسكندرية وفى اليوم التالى تم إقالة الحكومة الوفدية ليتسلم فاروق المشروع جاهزاً ولينطلق فى هذا المجال . ولكل شئ ميعاده فى خطط رجال القصر الملكى .

وكان الانتصار النهائى للملك على الوفد هو بداية تدهور الموقف السياسى للنظام الملكى. وتعرض المؤلفة رحلة التدهور فى الجزء الثالث من الكتاب والذى أطلقت عليه أسم "الآخر" ، اى فاروق الآخر الذى يختلف عن فاروق الذى قابلناه، من قبل، فى مرحلة التوهج. ويقع هذا الجزء فى حوالى ٩٠ صفحة، ويتم العرض تحت ثمانية عناوين هى: التحول، والجزاء، والبحث عن تعويض، والتأرجح، والعناد، والتصدع، والسلوكيات الشخصية، ثم الانهيار .

عندما سيطر الملك على الحكم فى مصر بدون منازع جاء مع هذه السيطرة مسئولية لم يدرك إبعادها فى حينه . لقد رزحت البلاد تحت أعباء من سوء الأحوال الاقتصادية والاجتماعية، كما طرح انتصار الحلفاء فى الحرب استفسارات تعلقت بالمصير فيما يخص جلاء بريطانيا التام عن مصر. جاء ذلك فى وقت إدرك فيه المصريون إن صورة ملك البلاد لم تعد تلك الصورة الواعدة التى تبشر بمستقبل يحتضن كل الآمال المشرقة. ومما دعم هذا الاتجاه إن الشخصيات التى أسهمت بدور رئيسى فى التعبئة الشعبية لصالح الملك فقدت دورها وذلك بتوارى احمد ماهر وإتباعه وبوفاة احمد حسنين. وانضمت إلى الحاشية الملكية شخصيات جديدة، لها سمات وأغراض مختلفة ، كان لها آثاراً سلبية على صورة فاروق أمام شعبه . وكان ذلك هو التحول .

ومن ناحية أخرى فإن عداء القصر للوفد قوبل بمقارنة شرسة من جانب هذا الحزب العريق فى شعبيته. وجاء الجزاء عاجلاً، فقد نزل الوفد بثقله فى المعركة عن طريق تحريك مظاهرات الطلبة التى علت فيها الهتافات ضد الملك والإنجليز. وانتقدت الصحافة الوفدية الحاشية الملكية. وعندما تم اغتيال أمين عثمان أشارت أصابع الاتهام إلى فاروق. ومن ناحية أخرى فقد بدأت بريطانيا فى التحرك الإيجابي لتحقيق مصلحتها فى أن يتولى الوفد مفاوضات الجلاء لأنه الحزب

الوحيد القادر على التحكم فى الحركة الشعبية بعد تدهور شعبية فاروق. ورأى الملك أن يقوم بلعبة سياسية تحسب له بعد أن تدنت شعبيته وذلك بتخفيف حدة الهجوم على الوفد الذى وجد أن هناك إمكانية للوصول إلى الحكم إذا ما اتبع سياسة الملاينة مع فاروق . وبدأ تنفيذ نوع من التقارب بين الجانبين بتدخل من السفارة البريطانية وبعض الشخصيات المصرية .

وفى يناير ١٩٥٠ أجريت انتخابات فاز فيها الوفد بالأغلبية المطلقة. وترى المؤلفة أن فاروق قد اسهم بشكل أساسي فى هذا الفوز بعد تحول حب الشعب له إلى بغض نظراً لما اعترى تصرفاته من فساد واستهتار افقد المصريين الأمل فيه فاتجهت آمالهم إلى الوفد. وصدر الأمر الملكى للنحاس بتشكيل الوزارة فى ١٢ يناير ١٩٥٠. وبدأت الوزارة الوفدية بإتباع سياسة لينة تجاه فاروق وقدمت له التنازلات، وعاش الطرفان فترة شهر عسل قصير اتخذت خلاله قوى سياسية عديدة موقفاً معارضاً لهما، بعد أن تخلى الملك عن احتضانها. وقابل الوفد تلك المعارضة بعنف، وتصاعد الغضب الشعبى ضد فاروق وضد الوفد خاصة مع تفاقم الأوضاع الاقتصادية. ثم بدأت الخلافات بين الطرفين فى الظهور. وفى أكتوبر ١٩٥١ ألغى النحاس معاهدة ١٩٣٦ سعيا وراء استعادة شعبيته المفقودة . واشتعلت المقاومة الوطنية ضد البريطانيين فى منطقة القناة الذين قابلوها بعنف بالغ، وزاد الموقف اشتعالاً، وفى ٢٦ يناير ١٩٥٢ وقع حادث حريق القاهرة، فنقل الاشتعال إلى قلب الأمة، وأعطى هذا الحادث لفاروق المبرر الذى كان ينتظره فأقال حكومة الوفد و أعلن الأحكام العرفية لإيقاف المظاهرات التى كانت تقلقه . ولكن الاقاله الملكية الثالثة للحكومة الوفدية كانت بمثابة انتصار مزيف أو هى فى حقيقتها هزيمة للطرفين. وبالنسبة لفاروق كانت الفترة بين الإقالتين الثانية والثالثة فترة للتحول إلى الأسوأ نال عنه سوء الجزاء بانخفاض شعبيته إلى الحضيض.

تحت عنوان " البحث عن تعويض " تقدم المؤلفة عرضاً وافياً لمحاولات فاروق المستميتة للبحث عن دور خارجى يعوض به تردى شعبيته فى الداخل، وكان الدور الإسلامي العربى الذى طرق فاروق أبوابه فى فترة التوهج، هو ما تصور فاروق انه الأمل فى إنقاذ صورته من التدهور فى الداخل وفى الخارج. ولكن ذلك لم يأت بالنتيجة المرجوة، فرغم إحراز بعض النجاحات وخصوصاً فيما يتعلق بالميدان العربى، فقد كانت الأخطاء أكثر واشد أثرا، وبدلاً من أن تؤدى الجهود الخارجية إلى تحسين صورته ساهمت الأخطاء فى تحقيق مزيد من التردى، خاصة عندما رُبط ما أقدم عليه بأغراضه التى تنطق بالهوى وتسعى للمصلحة الخاصة .

أما عن علاقة فاروق ببريطانيا فترى المؤلفة أن هذه العلاقة قد سادها نوع من الهدوء بعد الإقالة الملكية الثانية للحكومة الوفدية، خاصة بعد تحقق النصر النهائى للحلفاء وانهيار آمال فاروق الذى كان قد راهن على انتصار دول المحور، إلا أن هذه العلاقة سادها، بعد ذلك الهدوء، نوع من التأرجح بين الملاينة والتصلب. وتستعرض المؤلفة أحداثا كثيرة تشهد على هذا التأرجح. وعندما ساءت الأوضاع داخل مصر وساءت الأوضاع الخاصة

للملك وتراءت أمام عينية الهاوية التى كانت تنتظره، أراد أن يحقق لنفسه مزيداً من الاطمئنان بتوفير مساندة دولية أخري لموقفه. وقد وجد فى الولايات المتحدة القوة القادرة على إنقاذه، فى وقت الحاجة، إذا خذلته بريطانيا أو هذا ما توقعه. ولكن علاقة فاروق بالولايات المتحدة انتهت بتسلط امريكى تام عليه، خاصة خلال الفترة الأخيرة من حكمه، إذ اصبح السفير الأمريكي محركاً للأحداث فى وقت برز فيه عدم التلاقى بين وجهتى النظر البريطانية والأمريكية حول كيفية معالجة الأمور فى مصر وفى نفس الوقت فإن ما تصوره فاروق، من إن الولايات المتحدة هى المنقذة والمخلصة له مما هو فيه وما ينتظره من هوان، كان سراباً وفقاً لأوراق واشنجطن .

وكان العناء هو الصفة التى سادت العلاقة بين فاروق والجيش بعد انتهاء فترة التوهج التى شكل فى إثناءها الجيش أحد أهم دعائم الحكم الملكى . لقد افسد التقارب الذى حدث بين فاروق والإنجليز هذه العلاقة، وغير رأى رجال الجيش فى ملكهم، خاصة مع تغير الرجال المحيطين به. ولم ينتبه فاروق إلى هذا التغير، بل اعتبر إن ولاء الجيش له من الأمور المسلم بها وركز اهتمامه على كبار المسئولين العسكريين الذين تقربوا منه وأغدق النعم عليهم . ولكن ذلك لم يمنحه الولاء الحقيقى للجيش الذى أصبحت الحركات المضادة لفاروق داخله أمرا ملحوظاً. وفى ١٥ مايو ١٩٤٨ صدر أمر فاروق بخوض حرب فلسطين برغم عدم استعداد الجيش. وعندما وقعت الهزيمة وعاد الضباط من الحرب مهزومين ومقهورين تحولوا إلى خلايا نشطة ذات طابع منظم بعد إيمانهم الكامل بأن الملك كان وراء ما لحق بمصر من هوان سواء بسبب القيادات الفاشلة أو بسبب الأسلحة والذخائر الرديئة والتى وصل الأمر إلى وصفها بالفساد، تأججت المشاعر الوطنية ضد الملك داخل وخارج الجيش فلم تمضى سوى شهور قليلة على عودة القوات، وبالذات تلك التى حوصرت فى الفالوجا، إلا وتكونت الهيئة التأسيسية للضباط الأحرار فى سبتمبر ١٩٤٩ برئاسة جمال عبد الناصر وبدأت فى ممارسة نشاطها ضد الملك من خلال المنشورات التى أصبحت أداة حرب معلنة على التصرفات الملكية، وطعنت الملك فى الصميم حين رددت أن الجيش جيش أمه وليس جيش فرد، وان الضباط جزء لا يتجزأ من الشعب شغلت حرب فلسطين، بما سادها من أخطاء وفساد حيزاً كبيراً فى المنشورات وأدى ذلك إلى تعبئه الجماهير ضد فاروق وأعوانه. ثم تتبع المؤلفة معارك انتخابات نادى الضباط التى بدأت فى ديسمبر ١٩٥١ ودارت بين الملك وأعوانه من جانب والضباط الأحرار من جانب آخر. كان الملك قد تعود فى الماضى على نجاح من يرضى عنهم فى هذه الانتخابات، ولذلك فقد غضب بشدة عندما فاز مرشح الضباط الأحرار اللواء محمد نجيب برئاسة النادى فضلاً عن فوز الضباط الأحرار بخمسة مقاعد فى مجلس الإدارة، وأعطى هذا النجاح مزيداً من الثقة للضباط الأحرار فتوهجت مشاعرهم ونشاطاتهم خاصة بعد حريق القاهرة .

وسيطرت على فاروق الرغبة فى التنكيل بالعناصر المضادة له فى الجيش فأمر القائد العام بحل مجلس إدارة نادى الضباط ونقل أثنى عشر ضابطاً من المناوئين له الى جهات نائية فى خمسة أيام وتحت وطأه التهديد بالفصل قام القائد العام بتحقيق

الشطر الأول من الرغبة الملكية فحل مجلس إدارة النادى فى ١٦ يولية ١٩٥٢ ، وطلب مهلة بالنسبة للشطر الثانى وهو نقل الضباط .

ولم يلق الملك بالا الى ما وصلت إليه حالة الجيش من فوران واستخف بالأوضاع رغم ما وُجه إليه من تحذيرات ، ورأى ضرورة نقل محمد نجيب إلى الصعيد وتعيين حسين سرى عامر وزيراً للحربية والبحرية. واستقالت الوزارة بسبب تصاعد أزمة الجيش وراح فاروق يردد بأنه لن يسمح للجيش بأن يملى عليه أرادته .

وترى المؤلفة أن طريق العناد الذى سلكه فاروق قاده فى النهاية إلى التهلكة، إذ أسهم هذا العناد بالتبكير فى القيام بحركة الضباط الأحرار.

تحت عنوان " التصدع " تتبع المؤلفة الموقف السياسى بعد الإقالة الملكية الثالثة للحكومة الوفدية فى ٢٧ يناير ١٩٥٢ . فى نفس اليوم صدر الأمر الملكى لعلى ماهر بتشكيل الوزارة ، وتدخل الملك فى تشكيلها ، واستسلم على ماهر لبعض التدخلات، وناور برفض البعض الآخر . ولكن سرعان ما غضب فاروق على رئيس وزارته عندما تعارضت سياساته مع رئيس الديون الملكى لأسباب من أهمها مسألة التطهير التى وضعها على ماهر فى مقدمة اهتماماته ، وذلك السلام الذى بدأه مع الوفد وتطورات الأحداث حتى قدم على ماهر استقالته فى أول مارس.

تتبع المؤلفة توالى الوزارات بعد ذلك وتعرض العوامل التى أدت إلى استقالاتها والتى لم تخرج عن فساد الملك وتخبطه وفساد حاشيته ومن يحيطون به وعجزهم عن قراءة الموقف. وجاءت أزمة نادى الضباط وقرار حله لتعقد الموقف تماماً، وأصبح جليا أن التصدع قد تسلل إلى كيان النظام وبدت عليه علامات الانهيار .

تخرج المؤلفة، عند تلك النقطة، من سياق العرض التاريخى، لتدخل فى مجال الكتابة عن السلوكيات الشخصية لفاروق. وترى ان هناك إجماع من علماء النفس على أن الصفات التى نسجت خيوطها داخلة تصنف صاحبها تحت اسم "الشخصية السيكوباتية"، ومن سمات هذه الشخصية البلادة الانفعالية، وفقدان المشاعر، وإقصاء القيم والمعايير، والعنف غير المبرر، اللامبالاة، والاستهتار، وسرعة الغضب، والاندفاع، والسهولة الشديدة فى تفريغ العدوان، وفقدان القدرة على مقاومة الإغراء. تتبع المؤلفة بعد ذلك العوامل التى تكون قد أدت إلى ذلك ثم تتبع مظاهر تلك السمات كما انعكست فى تصرفاته وفى اختياره لمعاونيه ولأفراد حاشيته.

وفى يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ يأتى الانهيار وتبدأ الأيام الأخيرة لفاروق كملك لمصر، وهى أيام سادها جو درامى تجيد المؤلفة تقديم تفصيلاته المثيرة مركزة على ردود أفعال فاروق وتصرفاته .

وفى ٢٦ يوليو ١٩٥٢ يوقع فاروق على وثيقة تنازله عن عرشه لولى عهده الأمير أحمد فؤاد ، ثم يرحل عن أرض مصر . كانت أخر كلماته ذلك الوقت تفيض بالغضب، إذ صرح بان الذين اضطروه للخروج من مصر غاية فى الإجرام وانهم لن يستمروا فى الحكم إلا أياما معدودات . تضيف المؤلفة أن فاروق لم يدرك وقتها

ان ما خلعة عن عرشه وأرسله إلى خارج مصر كان ثورة وليس انقلاباً .

الجزء الرابع والأخير من الكتاب يقع فى حوالى ١٣ صفحة ويحمل عنوان " فى المنفى " ، ويتتبع رحلة فاروق بعد رحيله عن ارض مصر على اليخت " الخروسة " وحتى وصوله إلى ميناء نابولى بإيطاليا ، ثم يقدم صورة لحياة فاروق فى المنفى ، ويعرض لحلم العودة إلى عرش مصر الذى ظل يساوره منذ رحيله عن أرض مصر وربما حتى رحيله عن الدنيا وهو رحيل شكل، ومازال يشكل لغزا، قد لا يقبل الحل إلى الأبد، وفى النهاية يأتى الوداع الأخير وتُنفذ وصية الملك السابق بأن يدفن فى أرض مصر بمسجد الرفاعى مقر مقابر أسرته .

هناك تواريخ هامة ينبغى التركيز عليها خلال تلك الفترة. التاريخ الأول هو يوم ١٨ يونيه ١٩٥٣ ، عندما أُعلنت الجمهورية فى مصر، وجاء ذلك ليكون بمثابة لطمة قوية لفاروق ليس فقط على المستوى السياسى وانما أيضاً على مستوى حياته العائلية . فقد شعرت زوجته السيدة / ناريمان صادق أنه لاداع لديها لتحمل الحياة معه بعد أن حُرمت نهائياً من اى فرصة لحمل أى لقب ملكى. فعادت إلى مصر ورفعت دعوى طلاق أمام محكمة مصر الجديدة الشرعية، وطالبت بنفقة كبيرة وبحضانة ابنها. ولكن الحكم صدر بالطلاق البائن دون نفقة أو حضانة. وسعد فاروق بذلك. التاريخ الثانى هو يوم وقوع العدوان الثلاثى على مصر فى عام ١٩٥٦ ، وقد امتلأ فاروق غبطة وسعادة بذلك، وبعث برسائل إلى الرئيس الأمريكى ورئيس وزراء بريطانيا وفرنسا، شرح فيها التطورات التى تمر بها مصر تحت حكم الضباط، وتطالبهم بطرق كل السبل لتدبير حل سلمى لما يعانيه الشعب المصرى. وعندما فشلت خطة العدوان الثلاثى وانسحب المعتدون أصاب الإحباط الملك السابق. وفى ١٧ مارس ١٩٦٥ لفظ فاروق أنفاسه الأخيرة عقب تناوله وجبة عشاء دسمة فى مطعم ايطالى. وكان عمره آنذاك حوالى ٤٥ سنه.

ويأتى اللغز عندما تثير السيدة / اعتماد خور شيد أمر موت فاروق فى كتابها "شاهدة على انحرافات صلاح نصر"، وكانت مقربه إلى ذلك المسئول الذى كان يتولى منصب رئيس المخابرات العامة. سجلت فى كتابها أن هذا المسئول حضر إلى فيلتها مخموراً وقال لها أنه فى انتظار مكالمة مهمة من الخارج، وبالفعل جاءت مكالمتان تحملان خبر موت فاروق، الأولى من شخص ايطالى والثانية من مساعد صلاح نصر، وهو إبراهيم بغدادى، و أفادت المكالمتان بأن المهمة قد نفذت بنجاح. ونقل صلاح نصر الخبر لكل من عبد الحكيم عامر وجمال عبد الناصر. ترى المؤلفة أنه لا تتوفر أى وثائق لإثبات حادثة الاغتيال، لأنها عملية مخابراتيه أساساً ، ولكن المؤلفة رأت، فى نفس ا لوقت ، أنه لا يمكنها استبعاد ذلك تماماً . وهكذا تحول موت فاروق إلى لغز ، ومازالت علامات الاستفهام قائمة.

بعد عشرة أيام من تاريخ الوفاة جاء المشهد الأخير، اذ نُقل جثمان فاروق على طائرة تابعة لشركة الطيران المصرية وصلت إلى القاهرة فى منتصف الليل. واستقبل الجثمان عدد محدود من أقارب فاروق فى حراسة مشددة من رجال صلاح نصر، وتم الدفن فى مقبرة إبراهيم باشا وليس فى

مسجد الرفاعى، وبعد ذلك أمر الرئيس أنور السادات بنقل جثمان فاروق إلى مسجد الرفاعى.

وفى النهاية اقول أن المؤلفة قد بذلك جهداً مشكوراً لتقديم عرض تاريخى جيد لعهد الملك فاروق، لقد حشدت فى كتابها الكثير من الوقائع التاريخية الموثقة حتى أنه يمكن القول بأنها لم تغفل اى واقعة تاريخية هامة وقعت فى تلك الفترة، وراعت أن تقدم اغلب التفصيلات لأغلب الوقائع، واستخدمت هذه الترسانة الكثيفة من الأحداث والتفصيلات فى تقديم وتدعيم وجهة نظرها بطريقة واضحة .

وقد لا يتفق القارئ مع المؤلفة فيما توصلت إليه من نتائج، ولكن ما بسطته من وقائع تاريخية يتيح له درجة من الحرية تكفى، إلى حد كبير، لتكوين رأيه الخاص.

لقد بدأت مصر خلال ذلك العهد مسيرة عريضة من التحولات الهامة ، لقد خرجت من نطاق التبعية إلى عهد الاستقلال حتى ولو كان جزئياً، وخرجت من عهود الاستبداد لتبدأ رحلة طويلة وشاقة على الطريق إلى الديمقراطية، وعاشت حرباً عالمية وضعتها قسراً فى قلب أحد معاركها واثرت على أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية، وشهدت بدايات بزوغ فكرة القومية العربية وكان من الصعب عليها أن تتملص من دورها الطبيعى كأكبر وأهم كيان عربى، ثم وضعها ذلك الدور فى قلب صراع العالم العربى مع الكيان الصهيونى الذى زرعته القوى الغربية فى فلسطين لأسباب نشأت وتأسست بعيداً عن ذلك العالم ، وجاءت حرب فلسطين كنتيجة طبيعية لهذا الصراع، فهل كان بوسع النظام المصرى أن يرفض خوض هذه الحرب ؟

لقد كانت فترة صعبة، وربما لم ترتفع قدرات وخبرات اغلب الرجال فى مصر، آنذاك، إلى الحد الكفيل بالتعامل مع تحدياتها فارتكبوا الكثير من الأخطاء. وبالطبع فإن قدرات فاروق لم تسعفه لتحمل مسئولياته . فهو قد عاش فى صباه سنوات تكوين عجيبة لم ينل خلالها الحد الأدنى اللازم من الخبرة والتعليم، ثم قذفت به الأقدار، فى سن مبكرة إلى عرش مصر فى تلك الفترة الصعبة. أسكرته السلطة وضلله استسلام الرجال من حوله لأفكارهم العتيقة ونزواتهم ونوازعهم وأطماعهم فتخبط وقهر واخطأ كثيراً، ربما اكثر من غيره، حتى انتهى الأمر به إلى ما انتهى إليه. لكن الفترة الصعبة بدأت بآمال كبار وتفاؤل مبالغ فيه، وبالتدريج المتسارع خبت الآمال وغاب التفاؤل وحل واقع مرير مثل ليل بعد فجره، فهل هذه الدورة أمر فريد فى تاريخنا المعاصر؟ وهل تستلزم دراستها تقسيمها إلى فترات ثانوية ؟ وهل كان فاروق هو الرجل الوحيد الذى انشطر الى شخصيتين خلال تلك الفترة ؟ وهل ظل النحاس نحاسا واحدا ؟ وهل ظل مكرم عبيد مكرماً واحداً ؟ وهلم جرا.

أحد مزايا هذا الكتاب أنه يقدم إجابة واضحة عن السؤال الذى تعرض له، ولكنه أيضاً يثير فى عقل القارئ الكثير من الأسئلة الأخرى، وهذه سمة من سمات الكتاب الجيد.